

المقابر

تاريخ الحضارة

ممنكة الإفرنج

الممالك البربرية

تأسس الحكم الإمبراطوري - لم يشأ منوك البربر النازلين في الإمبراطورية الرومانية أن يتأثروا عنى المعاهد الإمبراطورية فيسبدها بل آثروا أن يخنفوا الأباطرة ويسنوا الشرائع ويصدروا الأحكام ويجبوا الضرائب وعنى الجمدة أن يحكموا كما حكم الإمبراطور. هكذا كان شأن منوك البورغوندي والبوزغوت والواندال في القرن الخامس لكن منذ الأوسترغوت في إيطاليا تيودورينك قد بنع في احداء ذلك المائل أرقى درجاته. في القرن السادس فكران له في فارون قصر بني عنى مثال قصر الإمبراطور مع وزيره وصاحب حاشيته ووكيل خرجه وأمناء مائة. وكان له ولاية ومحافظون يجبون الضرائب أما العوت فظنوا محاربين ومنهم يتألف الجيش تحت أوامر الدوقات والكونتية منهم. وفي ظل هذا الحكم كان الإيطاليون يعيشون بسلام كما كانوا عنى عهد الإمبراطورية فانشثوا يصنعون انجاري والحمامات ودور التثيل بل شادوا أيضاً مصانع جيدة مثل قصر

فارون ومسنة رافن وبدأ التمثيل يعود إلى ما كان عليه وتفتح مدارس البيان لقبول الطلاب وعنى ذلك العهد نبع بويس آخر شعراء اللاتين القدماء (٤٧٠ - ٥٢٤) بيد أن الغوت لم يخضعوا زمناً طويلاً لهذا النظام فبعد موت تيودورينك كانت المنكة أمالازونت تربي أبنائها عنى يد أساتذة رومانين فجاء رؤساء الجند يطالبون أن يربوا والطفل مع أترابه عنى الصيد وحمل السلاح عنى نحو ما تقتضي به العادة البربرية.

حكومة المير وفنجين - كان منوك الإفرنج في غالباً أكثر توحشاً من تيودورينك وحاولوا مع ذلك أن يحكموا البلاد عنى الطريقة الرومانية فمنح إمبراطور القسطنطينية لكنوفيس لقب قنصل وبطريق فظهر في مدينة تور لابساً رداء من الأرجوان وعنى رأسه التاج واقتسم أخلافه المنكة بينهم كنا يقسم المنك ولكن كان لكل منهم قصره في البقة التي كان يحكم فيها كنوفيس فيجنس عنى عرض من ذهب يحف به رجال الدولة بألقابهم الرومانية من قومس (كونت) إلى صاحب الخاتم إلى الحاجب وكان لبعضهم شعراء في قصورهم مثل الشاعر فنانتيوس فورتوناتوس الذي جاء من إيطاليا ونظم إكراماً لزواج بروهوت أبياتاً محتدة مصنعة أظهر فيها كوبيدون (إله الحب) فرحاً بالزواج والزهرة (ألهة الجمال) لتذكر أن بروهوت جميل مثلها وكان المنك شينبرينك نفسه ينظم أبياتاً باللاتينية غاية في السقم والركاكة واخترع حروفاً جديدة مثل وكان يأمر الكونتية أن يحوا بالشاف (الحفان) رقوق كتب التعليم في المدارس العامة ليعيدوا كتابتها بحروفه الجديدة ويعنى بعنوم الدين أيضاً ودعى أن العزة الإلهية يجب أن يطلق عنها اسم واحد وقد قال لأحد الأساقفة هكذا أريدك أن تعتقد أنت وأخوانك من عنماء الكنيسة. ولما أتاه من أرمينهم إلى القسطنطينية بالأقسنة والزين وأيقونات الذهب عرض ما أتوا به في قصره وعرض في الوقت نفسه حوضاً عنيقاً من الذهب

الذي كان أمر بصنعه فكان يريده للناظرين بإعجاب قائلًا أن الذي استصنعه لتزيينة ولا رفع من لأن قدر أمة الإفرنج ولعصري كم استصنع إذا عشت من الأغلاق والتحف.

تخاذل الميرونجيين لم يستطع هؤلاء المقلدون في المدينة الحديثة أن يطول عهدهم فإن الإفرنج كالفوت بلغوا من التوحش مبلغاً ولم يقبلوا معه عنى النظام المنكي فكان اخطارون يحترمون منوكتهم لأنهم كانوا من العنصر الميروفنجي ولكن خضوع مؤقت وكان المقاتلة أكثرهم عرامة يعيشون بالقرب من المنك وفي موكبهم ويستسيهم المنك رجاله وكثيراً ما يكون هؤلاء أكثر سطة من المنك. وفي سنة ٥٣٤ بينا كان المنك شيندير وكولتير ذاهبين لتخريب بلاد البورغوند وأراد تيري أن يبقى في منكنه جاءه رجاله يقولون لهذا لم تذهب إلى بورغونديا مع أخوانك تخلى عنكم ونلحق بهم. يريدون تيري أن يقودهم لتخريب أوفرنيا. وبعد حين قال أحد المقاتلين لمنك كونتران: نحن نعلم أين خبت تلك الفأس الندية بدم أخوانك فإننا نستطيع بها أن نقطع رأسك وقد أخذ كونتران الفزع فقال ذات يوم في الكنيسة أمام جمهور المؤمنين: أقسم عليكم أيها الرجال والنساء الحاضرون هنا ألا تقتلوني كنا قتلنا أخواني من قبل. وكان هؤلاء المقاتلين الذين لا تدريب لهم يرضون بأن يحرقون بمنوكتهم في الحروب. لأنهم كانوا يرجون في الحرب أن يعودوا وأيديهم مملأى بالأسرى والغنائم عنى أنهم كانوا لا يودون أداء الضرائب وحاول بعض المنوك أن ينفذوا القانون الروماني الذين كانوا يرونه نافعاً في جباية المال وقد عهد تيودير منك الإفرنج في أوسترازيا إلى وزيره بارتينوس أن ينظم أمور الجباية فلما قضى لحد انتقض الإفرنج وذبحوا بارتينوس في كنيسة تريف (٥٤٧) وبعد ثلاثين سنة أمر شينبريك بتنظيم قوانينه بالأملاك وأن تضرب ضريبة عنى الأراضي والعبيد وخربت منكنة شينبريك في السنين التالية بما أصابها من الطوفان والحريق

والأوثنة وأوشك المنك أن يهنك بعد أن فقد ابنه وكان القوم يذهبون إلى أن الله عاقب شينبريك عنى الجناية التي ارتكبها بوضع الضرائب عنى الناس. ولما رأت المنكة فريدغوند أولادها قد مرضوا ألفت إلى النار سجلات ضرائب المدن التي كانت خاصة بها وإذا تردد زوجها أن يلقي سجلاته قالت له: وماذا يمنعك أن تحدي حنوي فاعمل عنى حتى إذا فقدنا أولادنا الأعزّة نخلص عنى الأقل من العقوبات الأبدية (٥٨٠). وفي سنة ١٦١٤ اجتمع الأساقفة ورجال المنك واکرهوا المنك كولي أن ينشر أمراً بإلغاء الضرائب.

الحقوق الرومانية وملوك البربر - كان منك الإفرنج في القرن السابع منكم عنى جميع جرمانيا ولم يكن سكان هذه المنكة الواحدة أمة واحدة متحدرة أجزاءها بل كان لكل شعب لغته وعاداته ولم يكن في البلاد قانون واحد يخضع له الجميع عنى السواء وكان لكل إنسان قانونه الشخصي خلال زهاء ثلاثة قرون (من القرن السادس إلى التاسع) وقد احتفظ قدماء سكان الإمبراطورية بالقانون الروماني أما البربر فكان كل واحد منهم يتبع عادات شعبه القديمة. وقد كتبت هذه العادات باللغة اللاتينية في عصور مختلفة فسميت قوانين البربر فثأ بذلك قانون الإفرنج (وهو يمنع النساء وأولادهن من كرسي المنك) وقانون ريبوير وقانون الأمان وقانون ألفريزون وقانون اليفارين وبالجملة كانت القوانين بقدر عدد الشعوب. وهذه العادات التي جعلت فيها المواد كيفما اتفق تحوي عنى بعض الفصول في حقوق التملك والمواريث ولكن معظمها نظام فثا يجب عنده في السرقات وحوادث القتل.

وكان البربريون يرون أن الخصومات بين أفراد ليست سوى جرائم ليس من شأن الحكومة التدخل بها فإذا وقعت جنابة قتل فمن شأن القتل أو أسرته أن ينتقموا من

القاتل أو من ذوي قرباه فكل شدة تؤدي إلى انتقام اضطراري بين الأسرات تشبه الانتقام المألوف إلى اليوم في جزيرة الكورس. ولقد كانت الحكمة لإبطال هذه الفطاع تكره الجرم أن يدفع غرامة إلى آل القتيل ليكفوا عن أخذ الثأر. وفي قوانين البربر تحديد دقيق لقيمة هذه الغرامات فنكل امرئ قيمة بحسب حاله فإذا هلك فالقاتل يؤدي قيمته برمتها وإذا جرح يدفع القاتل جزءاً من قيمته عنى نسبة شدة الجرح وإذا ضرب رجل رجلاً في رأسه وشججه يدفع ١٥ سولاً من ذهب (السول خمسة فرنكات) وإذا ضربه برأسه واحجج منه ثلاث عظام يفرم بثلاثين سولاً وإذا ضربه بأمر رأسه فظهر محم يفرم بخمسة وأربعين سولاً. وإذا قطع رجله أو يده أو جدع أنفه يفرم بمئة سول وإذا بقيت اليد المقطوعة معنقة يفرم بخمسة وأربعين سولاً وإذا قطع له إبهام يده أو رجله يفرم بخمسة وثلاثين وفي الإصبع الثالثة يفرم بخمسة عشر سولاً وعن الخامسة يفرم بخمسة سولات وعن الخنصر يفرم بخمسة عشر سولاً. وكانوا يمكنون عنى كل فرد في اأحكام بقانون شعبه قال أسقف في ليون في القرن التاسع ليس من النادر أن يجنح خمسة أشخاص معاً ويكون لكل منهم قانونه الخاص.

مملكة شارلمان

الكارولنجيون - لم يوفق ملوك الإفرنج أن يخصصوا رعاياهم البربر إخضاع الطاعة وعنى العكس فإنهم منحواهم عنى التدرج جميع الملاك في الإمبراطورية ليكون مقاتلتهم عنى مقربة منهم فغدا اأخباريون أرباب أملاك عظمى وسكنوا في أراضيهم بين عبيدهم وخلعوا ربة الطاعة فأسمى الملك الميروفنجي شخصاً حاملاً معزلاً. وقد نشأت في شرقي المملكة من أنحاء أردن أسرة من كبار أرباب الأملاك لها بعض احترام من قومها يؤهنها إلى خضوع مقاتلة بلادها لأمرها ودعا رئيس هذا البيت نفسه بدوق الإفرنج

ولما كان هؤلاء الإفرنج في الشرق أكثر مضاءً ونظاماً استباحوا كحصى إفرنج الغرب وغدى منكمهم مدير القصر لدى منك الميروفجين وأصبح السيد الحقيقي في المنكعة عامة وبعد نصف قرن أراد أحد الدوقات وهو بين لبريف أن ينقب نفسه منكم فسل البابا زاحري رأيه فأجاب بأن من حصنت له السنطة المنوكية يجب أن يكون (٧٥٢) وعنى ذلك تودي بين منكم على الإفرنج وجاء القديس بونيفاس بمسحه هو وامرأته بالزيت المقدس فأصبحت الأسرة الكارولجية من ثم أسرة منوكية يحرمها الشعب وتقدمها الكنية.

شارلمان - كان شارلمان بن بين اقدر منوك البربر على الإطلاق فقد اخضع في جنده جم يع شعوب ألمانيا وتقدم إلى الشرق نحو الألب وإلى الغرب نحو الإيبير ومملكته عبارة عن فرنسا وألمانيا وإيطاليا الشمالية وقتل الباباوات في إيطاليا على ذلك العهد وحاذروا من النومباديين ومنوك البيزنطيين حتى أنهم لم يكونوا في رومية من القوة بحيث يحرمهم الناس على الدوام. وكاد البابا ليون الثالث ذات يوم أن يذبح في إحدى الفتن وضرب ودبس بالأرجل واضطر إلى الفرار واستجد الباباوات غير ما مرة بمنك الإفرنج (بين وابنه شارلمان) وكانوا يحتاجون إلى حزام قادر يحميهم فظهر من شارلمان أنه كفؤ ااذب عن همام ومنايذة من عاداهم. انتخب البابا ليون الثالث الجديد سنة ٧٩٥ فبعث إلى شارلمان بمفاتيح قبر القديس بطرس المقدس وعلم مدينة رومية طالباً إليه أن يبعث بأحد ليأخذ باسمه بيعة الشعب الروماني فأجاب شارلمان إنني راعب أن أعقد معكم مخالفة لا ينقص إبرامها يكون سداها الإخلاص ولحمها الحب حتى أنال البركة الرسولية من قداستكم ويكون لكرسي الكنية الرومانية المقدسة من إخلاصي مدافع على الدهر. وجاء شارلمان إلى رومية سنة ٨٠٠ فتوجه البابا ونادى به إمبراطوراً وعلى رواية

اجتهارد صديق شارلمان أن هذا لم يعند هذه الحفنة بل ترك البابا يفعل ما يريد قال ولو شعر بما يراد عنه لما دخل الكنيسة ومع هذا رضي بأن ينقب بإمبراطور الرومانيين وأعطى وما عدا أحوالاً نادرة لم يرض أن يتخذ بدلاً عن الناس الإمبراطوري واحتفظ ببنائه الإفرنجي وهو سروال من الكتان مشدود بعصيات وقبض من الصوف يناط به زنار ثم رداء واسع.

وهذا التبرج لم يزد في سلطة شارلمان ولم يكن حادثاً خطيراً وغاية ما في الأمر أن أصبح في الغرب بعد ذلك الحين إمبراطوراً يعترف البابا والأساقفة بأنه منكمهم وإنه حامى الكنية. وأصبحت هناك سلطتان رسميتان البابا والإمبراطور يحكمون الشعب ورجال الدين حكماً مشتركاً.

حكومة الكونتية - لم يحاول شارلمان العمل بقانون الإمبراطورية الرومانية بل ترك أرباب الأملاك معفون من الضرائب غداً رأى من ريع أملاكه الخاصة ما يكفي للإنفاق على قصره والجيش لا يكتفه شيئاً فليس عليه من ثم إلا أن ينشر الأمن ويقوم ميزان العدل إذا احتج إليهم فكان الكونتية هم الذين يتولون هذه الوظائف ولكل مدينة (مثل تور انجر شارتر) كونت واحد وهو في العادة أعظم أرباب الأملاك في ذلك الصقع فكان هذا الكونت يحكم باسم منك في مكورته وحكمه نافذ على من تحت يده فيدعو المحاربين للتحلات ويطارد الأشقياء وكان كثيراً عددهم يومئذ ويجمع كل سنة عدة مجالس لنحكم في الخلاء يحضرها أرباب الأملاك في تلك الكورة مدججين بأنسحتهم وكانت الكونتية في حاجة إلى من يراقب حركاتهم إذ كانوا من السطوة والاستقلال في بلادهم حتى أن بعضهم دعوا أنفسهم كونتية بنعنة من الله ولذا كانوا كثيراً ما يستعملون منطقتهم لاضطهاد السكان. قال الكابيتوليرليون تريد أن لا يكره

الكونتية الرجال الأحرار أن يجزوا لهم عشب مروجهم أو يحددوا لهم حصادهم وأن لا يأخذوا بالقوة والاحتيايل أملاك الفقراء.

فكان المرسلون من قبل الملك يطوفون كل سنة البلاد ليراقبوا أعمال الكونتية فيجنعون السكان في كل بند ويسألونهم عما يشتكون منه ثم يحنون الكونت على إنصافهم مهددين إياه بغضب الملك عليه ولما سقط اعتبار الملك لم يستطع إنقاذ مرسله غدا كل كونت منكاً صغيراً وتألفت من كل كونتية مملكة صغيرة.

رجال الدين في الحكومة - أصبح الأساقفة ورؤساء الأديار منذ ذلك العهد من عنية القوم وأرباب الأملاك الواسعة فيهم. ودخنوا على عهد شارلمان في الحكومة فكانت تعقد جنسة سنوية في قصر الملك لتنظر في المسائل فيتشاور الأساقفة ورؤساء الأديان مع الكونتية ورجال الجيش وإذا كانت هذه الفئات منورة أكثر من غيرها فهي التي كانت تسن القوانين وتدونها. وكان لكل مدينة كونتها وأسقفها فجعل شارلمان كالأسقف مساوياً للكونت وأمرهما أن يحكما معاً قاتلاً إننا نريد أن يعين الأساقفة الكونتية ويساندا الكونتية الأساقفة ليتمكن كل من الفريقين أن يقوم بعنده حتى القيام. فكان على الأسقف أن يحرم النصوص والعصاة وعلى الكونت أن يكوه بالقوة من كانوا يعصون الأسقف ومكافأة للسلطة التي منحها الإمبراطور لرجال الدين أصبح هو نفسه زعيم الكنيه أو أسقف الأساقفة فكتب إلى البابا: إن من شأنى أن أدافع عن كية المسيح المقدسة في الخارج من سطوات الكافرين وأن أعززها في الداخل بتعريفي للإيمان الحقيقي. فالإمبراطور هو الذي يعين الأساقفة ورؤساء الأديار وهو الذي يرأس الجامع القلسة.

ولم يكن منوك الإفرنج من ثقب الذهن بحيث يميزون بين السنطة الزمنية والسنطة الروحية بل كانوا يمزجونها ويجمعون زمانهما في يد واحدة. وهذا المزج في السنطة هو العلامة الفارقة في الحكومة الكارولنجية. فانتجت نزاعاً دام عدة قرون بين الإمبراطور زعيم الدولة والبابا زعيم الكنيسة. ولم تدم معارضة الأساقفة لنكونية أيضاً فقد كتب شارلمان سنة ٨٨١ في مرسوم صدر عنه: إننا نريد أن نحنوا بأساقفتنا وكونيتنا ونكنسهم خاصة ونبحث عن السب الذي من أجله لا يحبون أن يعين بعضهم بعضاً وعندما تجري المناقشة فتقرر الخطة التي يجب على الأسقف أن يحفظها لنفسه في المسائل الدنيوية والخطة التي يسير عليها الكونت أو غيره من رجال الدنيا في المسائل الكنسية وكان هذا هو الحد الفاصل بين سنطة رجال الدين والحكومة التي يبحث عنها شارلمان ولكن هذا الحد لم يوافق هو ولا أحد من أباطرة القرون الوسطى إلى الظفر به.

الجيش - عرف شارلمان أنه زعيم المقاتلين فقد قام بحياته بثلاث وستين حملة ولذلك قضت الحال أن يكون الشعب جيشاً ليكفي تلك الحروب التي لا تفتأ ناشئة. كان جميع أرباب الأملاك من الخاربين الغزاة بحب عادة الشعوب الجرمانية فإذا أراد الملك أن يجمل حملة يصدر أمره إليهم بالاجتماع في مكان يعينه فإذا بنفهم الأمر اليوم لا مناص لهم من الوقوف على قدم الاستعداد عدداً أما الخولاف منهم فيغرمون غرامة شديدة وعلى الأساقفة ورؤساء الديار من الخاصة أن يجيوا الدعوة كما يجيها العامة وإليك كتاباً للدعوة للاجتماع ورد على رئيس الدير فولاً: نأمركم أن تحضروا في اجتماع ٢٠ حزيران في رجالكم المنحيين المستعدين على ما يجب فتذهبون إلى المكان المعين وانتم على الاستعداد على جانب يتيسر لكم معه أن تحاربوا في كل مكان نأمركم به ونعني بذلك أن تكونوا منحنين تامة أدواتكم وذخائركم فيكون لكل فارس ترس

ورمح ونصف سيف وسهم وجمعة ممنوءة وتحمل مركباتكم أدوات مختلفة من الأجناس مثل الفؤوس والمراة والمثاقب والحافر والمعاول والمساحي وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها في الجيش وتحملون منونتكم عن ثلاثة أشهر وألبسة عن سنة.

فكان يقضي على الغزاة أن يتجهزوا ويتسلحوا على نفقتهم ومن قل ماله يأتون رجالة وسلاحهم ترس طويل ولكن كل من كان لهم مال يجاربون فرساناً راكبين ومدججين بشبكة حديد. وهذه الشبكة غير مستحدثة بل استعملها الفرسان البارتيون وكانت أجسام الفرسان الذين يقاتلون في الجيش الروماني في القرن السادس مملحة على تلك الصورة ولما أطلقت للسحارين حريتهم أن يتجهزوا كما يشاءون آثروا من الجهاز ما يقيهم الخطر أكثر من غيره وهكذا لم يبق مشاة في الجيوش في أواخر القرن التاسع لم يبق في أوروبا الغربية من المقاتلة إلا الفرسان اللابسون للحديد وهؤلاء هم فرسان القرون الوسطى.

دستور الحكومة - إن المراسيم الصادرة عن شارلمان هي مجموع ما كتبه حكومته وهي عبارة عن مناشير وتقارير وكتب ولوائح بسيطة ولم يكن معظم هذه المناشير إلا ابن ساعته صدرت في غرض خاص ولكن من القوانين ما يجب تطبيقه في المملكة كلها وقد حفظ بعضها ودخل في مصطلحات الشعوب في القرون الوسطى.

الآداب والمدارس - كان شارلمان يحب الآداب حباً ساذجاً ما يحب غير التعنين أن يروا أحياناً السطور المكتوبة بحبها لأنها تراءى له أنها غير منفصلة عن الدين المسيحي واليك ما كتبه سنة ٧٨٧ إلى جميع أساقفة مملكته ورؤساء أدياره: أحسنوا استعمال ذكائكم بعد مشاورة المخلصين لنا فقد رأينا أن الأسقفيات والأديار في حكومتنا يجب عليها زيادة على الحياة المنظمة والقيام بالدين لمقدس أن تبدل غيرها فيدرس الآداب

وأن تعلقها إلى من يقدر عني تعلقها بعناية الله فإن من يريدون أن يرضوا الخالق بأن يعيشوا عيشة راضية لا يتساهلون في سبيل مرضاته بأن يتكلموا أطيب الكلام. ولما كان قد كتب إلينا في السنين الأخيرة يعرفوننا أن الإخوان الذين يعيشون فيها يضاعفون صلواتهم لنا فأنند لاحظنا في معظم هذه المكروبات التي فيها شعور الحق كلاماً غنياً لا متانة فيه ولذلك بدأنا نتخوف من أن يقل العلم في أسنوب الكتابة وأن يفقد الذكاء فيكون أقل مما يجب في تفسير الكتب المقدسة ولذا نحرصكم أن تنافسوا في الغيرة عني العلم لتستطيعوا أن تفهموا الكتب المقدسة على أسرارها وجه تحيطوا بأسرارها بإحاطة راسخة وعليه فقد أمر بأن يكون لكل كنيسة كاتدرائية أو دير مدرسة فيكون في صحنها صف يقوم رجال الكنيسة على تجميع الأولاد فيه وكثيراً ما كان يحضر شارلمان بنفسه في الدروس فيتعلم الأولاد القراءة والكتابة اللاتينية وترنيم الصلوات ومن هؤلاء الأولاد كان شارلمان يختار الأساقفة ورؤساء الأديار.

ولقد كان شارلمان يحب الأدباء فجمع حوله عصابة بمجمع علمي مصغر ولقب الرجال الذين يؤلفون هذا المجمع باسم رجل عظيم من القدماء فاسم الكوين هوراس واسم أداارد أو غسطينيون واسم أنغيبير هوميروس واسم تيودولف بينادر واسم شارلمان داود. فيقضون الوقت في تأليف أشعار لاتينية وفي القراءة والإنشاد وحل المعينات والأحاجي وإليك جملة مسرحة مما كتبه الكوين: ما هي الكتابة؟ - حافظه التاريخ - ما الكلام؟ - خيانة الفكر - من يولد الكلام - النسان - ما هو النسان؟ - المدقق الذي يضرب الهواء - ما هو الهواء؟ - حافظ الحياة - ما هي الحياة؟ - فرح السعداء وترح البائسين وتوقع الموت والأديبات المثورة عن هؤلاء الأدباء يرغبون فيها مع أنها صبيانية تشبه تمارين أبناء المدارس ولم يكن للبرابرة من الثقة بأنفسهم ما يجروون معها أن

يكونوا مبتكرين هم أنفسهم بل كانوا يطعنون كل الطبع باحتذاء مثل القدماء ولذلك لم يوقفوا إلى إيجاد أدبيات ذات قيمة عني أن العناية التي بذلها شارلمان ورجال الدين وأدباء عصره لم تكن عقينة بأسرها فإنه منذ نحو قرنين لم يكن في غاية شيء يشبه الأدب وما قط دونوا كتباً بل ولا أخباراً وتكتب الكتابات بالرومية التي لا يسغى عنها (كالوثائق والهبات والوصايا) بالنقطة اللاتينية البربرية وهي من سقم الخط بحيث يصعب حلها وبعد شارلمان أصبحت اللغة اللاتينية مضبوطة جداً والكتابة مقروءة لتغاية تكاد تشبه الكتب المطبوعة.

خراب مملكة شارلمان - لم ظل عبر مملكة شارلمان فإن الإفرنج لم يستطيعوا أن يقنعوا عن عاداتهم في أن يروا الممالك كالأفلاك تقسم بعد موت الملك بين أولاده عني السماء بيد أن نفسه وزع بلاده بين أولاده الثلاثة. فعاش لويز وحده وورث الكل ورزق لويز هذا ثلاثة أولاد أيضاً فأراد مستشاروه من رجال الكيسة أن يرث الملك بكر أولاده فقط لتبقى مملكة واحدة وعصدة الغزاة الإفرنج أصغر الأولاد سناً ذلك غلب حزب الوحدة عني أمره وتعددت الممالك بتعدد أولاد كل منكم فكان ثقل وتكثر عني تلك النسبة. أما لقب الإمبراطور فتم تتأني تجزئته بل كان يطلق عني منكم واحد ويكون عني العادة من أضعفهم منكم مثل منكم إيطاليا وبعد سنة ٩٢٤ لم يعد أحد ينيق لهذا القرب. فرأى مؤلفو ذلك العهد والحزن أخذ منهم تلك المملكة العظيمة تفتت. وقد ألف فلوروس لشناسيون مرتية بعقد عقد عهدة فردون قال فيها: بدلاً من منكم لنا عدة أفيال وبدلاً من منكم لنا أجزاء من مملكة. وما من أحد إذ ذاك كان يظن أن تلك القطع تصبح أيضاً أمماً وإن ذلك لاختلاف أبرك من تلك الوحدة الرومانية.